سِمات المجتمع القرآنيّ

مصباح بدران *

مقدّمة

يتمتّع المجتمع بشخصيّة معنويّة مستقلّة عن شخصيّة أفراده، ممّا يمنحه حقوقًا ويُرتّب عليه تكاليف ووظائف. فالعلاقة بين الأفراد تُولّدُ حكمًا كينونةً وهُويَّةً أخرى مستقلّة عن هُويّة الأفراد الذين يتكوَّن منهم، ألَا وهو المجتمع الذي يتمتَّع بآثار وخصائص مختلفة وأقوى من تلك الموجودة لدى آحادهم.

لقد أشار القرآن الكريم في مواضع متعدّدة إلى الأُمَّة بوصفها مكوّنًا ومخاطبًا مستقلًّا، فقد ذَكَرَ أنَّ للأُمَّة عُمرًا وأجلًا، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[1]، وأنَّ لها كتابها الخاصّ؛ ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ﴾[2]، وأنَّ لها شعورًا وإدراكًا؛ ﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾[3].

كذلك أشار القرآن الكريم إلى عمل بعض الأُمم؛ ﴿ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾[4]، وأنَّها تتَّصف بالطّاعة؛ ﴿ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ

---

* دكتوراه في القانون العام، ومحاضر في جامعة المعارف.

1- سورة الأعراف، الآية 34.

2- سورة الجاثية، الآية 28.

3- سورة الأنعام، الآية 108.

4- سورة المائدة، الآية 66.

ءَانَـآءَ ٱلَّيۡـلِ وَهُـمۡ يَسۡـجُدُونَ ﴾[1]، فيما يتَّصف بعضها الآخر بالمعصية؛ ﴿ وَهَمَّـتۡ كُلُّ أُمَّـةِۭ بِرَسُـولِهِمۡ لِيَأۡخُـذُوهُۖ وَجَٰدَلُـواْ بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾[2].

مـن هنـا، نـرى أنَّ الإسـلام اهتـمَّ بتاريـخ الأُمَـم كمـا اهتـمَّ بقصـص الأفـراد، بـل أكثـر. واهتـمَّ، أيضًـا، بتربيـة المجتمـع وأخلاقـه، بحيـث إذا وقـع تعـارض بينهـا وبيـن تربيـة أحـد الأفـراد أو أخلاقـه وغرائـزه، لتقدَّمـت قِيَـم المجتمـع لأقوائيّتهـا. وقـد وَضَـع الإسـلام أحكامـه، كالحـجّ والجهـاد والإنفـاق علـى أسـاس الاجتمـاع، وجعـل الدّعـوة إلـى الخيـر والأمـر بالمعـروف والنّهـي عـن المنكـر هدفًـا مشـتركًا للمجتمـع الإسـلاميّ، للوصـول إلـى السّـعادة والقـرب الإلهـيّ[3]. كذلـك تحـدَّث القـرآن الكريـم عـن كتـاب يحصـي عمـل الفـرد، وآخـر يحصـي عمـل الأمَّـة؛ ﴿ كُلُّ أُمَّـةٍ تُـدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَـا ﴾[4]. وعليـه، ثمّـة إحضـاران بيـن يـدي اللّـه: إحضـارٌ فـرديّ وإحضـارٌ للأُمّـة[5].

ولمّـا كان المجتمـع مُكلَّفًـا، تقـع علـى عاتقـه تكاليـف، يمكـن القـول إنَّ الواجبـات الكفائيّـة هـي واجبـات عينيَّـةٌ علـى المجتمـع، إلَّا أنَّ اختـلاف طبيعـة المكلَّـف تقتضـي اختـلاف طبيعـة الامتثـال. وتاليًـا، لا يكـون التّكليـف موجّهًـا لجميـع المكلّفيـن بمـا هُـمْ أفـراد، إنَّمـا للمجمـوع، أي للأُمّـة بمـا هـي موجـود حضـاريٌّ معنـويٌّ. والفـرد الـذي يمتثّـل التّكليـف إنَّمـا يمتثلـه باعتبـار كونـه مـن الأُمّـة، لا باعتبـار مشـخّصاته الذّاتيّـة، وذلـك بغيـة تحقيـق مصلحـة الأُمَّة[6].

وبمـا أنَّ لـكلّ مجتمـع أصـولًا ومبـادئ تحكـم كينونتـه ويتَّصـف بهـا، وتُميّـزه عـن باقـي الهُويّـات، فَـإنَّ للمجتمـع الإسـلاميّ مبـادئ وخصائـص يمتـاز بهـا، تُعـدّ تجلّيًـا للرّؤيـة الكونيّـة الإلهيّـة مقابـل المـدارس الفكريّـة الأخـرى.

فمـا السِّـمات البـارزة التـي يجـب أن يتحلَّـى بهـا المجتمـع الإسـلاميّ فـي ضـوء القـرآن الكريـم؟

1- سورة آل عمران، الآية 113.

2- سوره غافر، الآية 5.

3- محمّـد حسـين الطّباطبائـيّ، الميـزان فـي تفسـير القـرآن، ط2، بيـروت، مؤسسـة الأعلمـيّ للمطبوعـات، 1970م، ج 4، ص95-97.

4- سورة الجاثية، الآية 28.

5- محمّد باقر الصّدر، المدرسة القرآنيّة، ط1، بيروت، دار التّعارف، 1400هـ.ق، ص 97.

6- حسـن مكّـي، جهـاد الأمَّـة، تقريـر لمحاضـرات محمّـد مهـدي شـمس الدّيـن، ط1، بيـروت، دار العلـم للملاييـن، 1997م، ص 47-48.

سمات المجتمع الإسلاميّ

إنَّ مبدأ الإيمان بالغيب يُشكِّل عمادًا للرّؤية الكونيّة الإسلاميّة، عبر الاعتقاد أنَّ هذا الغيب يقع في سلسلة العلل، فلا بُدَّ من أن يُلحظ في تشكيل المنظومة الفكريَّة للفرد والمجتمع؛ ومبدأ طاعة أُولي الأمر الذي يُشكّل الضّامن لحسن تنفيذ المبادئ الأخرى؛ فمبدأ الاتّحاد الذي يستلزم التّعاضد واجتماع القلوب؛ وحاكميّة الأخلاق تستلزم الرّحمة والرّأفة في العلاقات الاجتماعيّة؛ وتدبير المعيشة ورعاية الاقتصاد يستلزمان الاستقلال والاعتماد على الطّاقات الدّاخليّة، مع مراعاة قواعد عدَّة بدءًا بالتّنافس، مرورًا بعدم الإسراف والتّبذير، وانتهاءً بالعدالة الاجتماعيّة التي تُشكِّل الهدف الأسمى للتّنمية الاقتصاديّة. ثمَّ مبدأ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر الذي يضمن استمرار حياة المجتمعات.

1. الإيمان بالغيب:

الغيب يعني ما بطَن وما خفي، وهو مقابل الشُّهود، وهو ما وراء عالم المحسوسات. والإيمان بالغيب هو أوّل صفةٍ للمتّقين وردت في سورة البقرة: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾[1]، وهي الفَيصل بين المؤمنين بالأديان السّماويّة والمنكرين للخالق والوحي والقيامة.

إنَّ الغفلة عن الشّهود أو عدم التّوجّه الكافي إليه، يعود إلى طبيعة الحياة الدّنيا التي تستوجب التّوجُّه إلى الأمور المادّيّة. ولأجلِ ذلك، أودع اللّه تعالى في الإنسان أدواتٍ للمعرفة والهداية، تبدأ بالحواسّ التي تُمكّنه من اكتشاف العالم الخارجيّ والمحسوسات؛ إذ يقول تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[2]، انتقالًا إلى العقل الذي يُحلّل المعطيات ويستنتج؛ ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[3]، ويكمل قصور الحواسّ وأخطاءها، ويستدلُّ على المسائل العقائديّة كالتّوحيد والنّبوّة، وما يترتَّب عليهما من لزوم طاعة المُنعِم، والإقرار بصدق النّبيّ الذي جاء بالوحي.

إلّا أنَّ هذه المعرفة غير تامَّةٍ، فهي إمّا قاصرةٌ عن الحكم حول بعض الأمور،

1- سورة البقرة، الآية 3.

2- سورة النّحل، الآية 78.

3- سورة يونس، الآية 24.

كالقضايا الغيبيَّة، أو أنَّ تلك الأمور ليست مسرحًا لحكم العقل، كالقضايا الإنشائيَّة. ومن هنا، كان لا بُدَّ من أدوات معرفةٍ تتجاوز البُعد المادّيّ والعلم الحصوليّ، فكان الوحي الذي يكمل في إرشاد الإنسان للوصول إلى مبتغاه؛ ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾[1].

فالمؤمنون لم يقتصروا في منظومتهم على المادّة، التي يشترك فيها الإنسان والحيوان، بل تعدّوها إلى عالم الوجود الأكبر والأوسع. فخالق الوجود أزليٌّ، حكيمٌ، قديرٌ، صمَّم هذا الكون وفق نظام وأهدافٍ ساميَة، حيث يُعدّ الموت فيه عبورًا من مرحلةٍ إلى أخرى تكامليّة[2]. بينما النّظرة الماديّة تقتصر على هذه الدّنيا، بوصفها الهدف والمنتهى؛ ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ ﴾[3]. وتاليًا، تكون أفعالهم مقتصرةً على النّفع الذي سوف يجنونه ويستثمرونه في هذه الدّنيا.

إنَّ المؤمنين بالغيب يعلمون أنَّ هذه الدّنيا هي دار الاختبار والامتحان، وأنَّ الدّار الآخرة هي دار الجزاء؛ ﴿ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾[4]. وهذا ينعكس على تقييمهم للأمور، وقراءتهم للمصالح التي توائم بين المنفعة الدّنيويّة والأخرويّة.

قال تعالى: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[5].

إنَّ الشّواهد القرآنيّة ذاخرةٌ بالقواعد والنّماذج الغيبيّة. وثمّة العديد من القواعد الحاكمة التي جاءت على هيئة جملٍ شرطيّةٍ، وعلى الإنسان أن يُحقِّق شرطها عبر الارتباط بالغيب؛ ليتحقَّق الجزاء.

ومن ذلك، قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ

1- سورة الحديد، الآية 25.

2- ناصر مكارم الشّيرازيّ، الأمثل في كتاب الله المنزل، ط1، قمّ، دار مدرسة الإمام عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، 1421هـ.ق، ج 1، ص 76-77.

3- سورة الجاثية، الآية 24.

4- سورة الزّمر، الآية 10.

5- سورة القصص، الآية 77.

حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ ﴾[1]، وقوله: ﴿ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾[2]، وكذلك: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[3].

كما توجد العديد من النّماذج الغيبيَّة التي أثبتت تحقُّق أمور من دون الاستفادة من الأسباب الظّاهريّة، من جملتها دعاء النّبيّ زكريّا عليه السلام: ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾[4]، على الرّغم من كبر سنِّه، وعُقْر زوجته. وثمّة، أيضًا، موارد تحقَّقت من دون تحقُّق الأسباب العاديَّة، بل فقط بتأثير الدُّعاء؛ ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴾[5]، و﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾[6].

فهل القول باستقلال الدُّعاء في بعض الموارد يتعارض مع قانون العلّيّة؟

إنَّ قانون العليّة أصلٌ ضروريٌّ لا استثناء فيه؛ إذ أثبتت الفلسفة أنَّ لكلِّ معلول علّةٍ، لكنّها لا تتكفَّل ببيان العِلل الخاصّة، فالقانون العقليّ شيء، ومعرفة العلل الخاصَّة شيءٌ آخر. وقد قيل: إنَّ العِلّة تثبت بالتّجربة والعلم، إلَّا أنَّ ذلك لا يعني حصرَ العِلَل الخاصّة بتلك المعروفة، فلربّما حصلنا على النّتيجة نفسها من طريقَيْن؛ فعندما تعجز التّجربة والعلم عن تفسير ظاهرةٍ ماديّةٍ ما، يقع الوَهْم بأنَّ لقانون العليّة استثناء. والصّحيح، أنَّ عدم الوجود لا يدلّ على عدم الوجدان، بل إنَّ قصور التّجربة وحصرها ببعض العلل أدّيَا إلى هذا التّوهُّم الباطل، الذي ينفي تأثير العوامل المجهولة أو غير الملموسة. وبما أنَّ التّجربة تُثبت ما يقع ضمن نطاق الحواسّ، فإنَّه لا يحقُّ لها أن تنفي ما وراء ذلك. وتاليًا، لا يمكن نفي المعجزة وتأثير الدّعاء،

1- سورة الطّلاق، الآية 2-3.

2- سورة آل عمران، الآية 125.

3- سورة النّحل، الآية 97.

4- سورة آل عمران، الآية 38.

5- سورة القمر، الآية 10.

6- سورة النّمل، الآية 62.

فقبول هذه الأمور هو قبول بعلّيّة اللّه عزَّ وجلّ، وتسليم بعلّيّة الأمور غير الطّبيعيّة ـ كالدّعاء والمعجزة ـ للأمور الطّبيعيّة.

إنَّ القول بعلّيّة الدُّعاء لا يعني الاستغناء عن السّعي والأخذ بالأسباب المادّيّة، سواء في القضايا الفرديّة أو الاجتماعيّة، بل إنَّ الدّاعي يرى أنَّ المؤثّر الحقيقيّ هو اللّه، وتاليًا هو لا يكتفي بالأسباب المادّيّة بنحو الاستقلال، كما أنَّه لا يتوقّف أو ييأس عند فقدانها، فهو يؤمن أنَّ للأسباب غير المادّيّة، كالدّعاء، أثرًا وقدرة على التّأثير، وتاليًا سيتحلّى بالأمل والعزيمة[1].

قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[2].

فالمجتمع المؤمن بالغيب يعلم أنَّ خلف هذا العالم مُدبّرًا، فلا يقتصر على الأسباب المادّيّة للمعرفة، بل يتجاوزها إلى المدَدِ الغيبيّ، وتاليًا يكون الغيب ضمن سلسلة العلَل. عندها، تسير الجماعةُ واثقةً مطمئنّةً بوجود قوّةٍ أقوى من القوى الإنسانيّة الظّالمة والطّاغوتيّة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[3]، فيبعث بها الأمل، ويُحرّكها نحو العمل والإبداع.

2. طاعة أُولي الأمر والاتّحاد:

تتألّف المنظومة التّشريعيّة لأيِّ مدرسةٍ فكريّة مِنَ المباني التي تُمثِّلُ الرّؤى والأهداف، والقوانين التي تُشكّل السّلوك العمليّ المنبثق عن هذه الرؤية، بالإضافة إلى منظومة القِيَم التي تنسجم مع الأهداف والمآلات.

إنَّ المجتمع الذي يؤمن بالمنظومة الإلهيّة بوصفها دستورًا للحياة، عليه أنْ يعمل في ضوء الأحكام الفقهيّة والأخلاقيّة التّابعة لها، كونها تُشكّل التّجسيد العمليّ لهذه المنظومة وتُحقِّق أهدافها.

أمّا الأحكام الفقهيَّة، فتارةً تخاطب الفرد المكلَّف، بصرف النّظر عن مشخّصاته، وتارةً تخاطبه كمواطنٍ يعيش في دولةٍ، ضمن مجتمع ومؤسّسات ذات شخصيّة حقوقيّة، وهو ما يُسمّى بالفقه الاجتماعيّ أو القانون، الّذي يُرتِّب جملة

1- محمّد تقيّ مصباح اليزديّ، على أعتاب الحبيب، ط1، بيروت، دار المعارف الحكميّة، 2018م، ص 16-23.

2- سورة الأنفال، الآية 9.

3- سوره الحجّ، الآية 38.

تكاليف على كلِّ نوعٍ من أنواع المكلّفين. وعليه، فإنَّ على المواطن والمجتمع الالتزام بالقانون، الذي تتكفّل السّلطة العامّة بتحديده، وتشخيص مصاديقه، بهدف تنظيم العلاقات وحفظ النّظام العامّ.

يُثبت العَقل وجوب طاعة اللّه وطاعة رسوله وأُولي الأمر؛ فطاعة اللّه ثابتةٌ من خلال لزوم شكر المُنعم، وطاعة النّبيّ تثبت بعد إثبات أنَّ النّبيّ مُرسَل مِنَ اللّه، عبر المعجزة أو غيرها. أمَّا طاعة أُولي الأمر، فهي ثابتةٌ من باب وجوب رجوع العالِم إلى الجاهل، وضرورة إرساء النّظام في المجتمع.

وقد أرشد القرآن الكريم إلى حكم العقل، إذ قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[1]. تُشير هذه الآية إلى لزوم طاعة ثلاث مرجعيّات: اللّه، والرّسول، وأُولي الأمر. وهذا التّعدُّد في المرجعيّات لا يتنافى مع التّوحيد؛ لأنَّ إطاعة الرّسول وأُولي الأمر هي شعاعٌ من طاعة اللّه تعالى وفي طول طاعته تعالى[2].

تُشكِّل هذه الطّاعة مقدّمة ضروريَّة لاتّحاد المجتمع تحت راية التّوحيد؛ إذ المطلوب ليس أيّ اتّحاد، بل أن يتمسَّك الجميع بحبل اللّه؛ ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾[3]. وإلى هذا، يشير رسول اللّه ﷺ في حديث الثَّقلَين: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ حَبْلٌ مَمْدُودٌ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»[4]. فمبدأ الاتّحاد يستلزم اجتماع

1- سورة النّساء، الآية 59.

2- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ بِشْرٍ الْهَمْدَانِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَنَفِيَّةِ يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آخِذٌ بِحُجْزَةِ اللَّهِ، وَنَحْنُ آخِذُونَ بِحُجْزَةِ نَبِيِّنَا، وَشِيعَتُنَا آخِذُونَ بِحُجْزَتِنَا. قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا الْحُجْزَةُ؟ قَالَ: اللَّهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُوصَفُ بِالْحُجْزَةِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ رَسُولَ الله ﷺ آخِذٌ بِأَمْرِ الله، وَنَحْنُ آلُ مُحَمَّدٍ آخِذُونَ بِأَمْرِ نَبِيِّنَا، وَشِيعَتُنَا آخِذُونَ بِأَمْرِنَا».
محمّد بن عليّ بن بابويه الصّدوق، التّوحيد، ط1، قمّ، نشر جماعة المدرّسين، 1398هـ.ق، ص 165.

3- سورة آل عمران، الآية 103.

4- محمّد بن عليّ بن بابويه الصّدوق، كمال الدّين وتمام النّعمة، ط2، طهران، الدّار الإسلاميّة، 1395هـ ج 1، ص 235.

القلـوب والتّحلّـي بـروح الأخـوّة ونبـذ العنصريّـة.

وقـد أشـار القـرآن الكريـم في مواضـع متعـدّدة إلى أهمّيّـة الوحـدة وحـذّر مِـنَ التّفرقـة والتّنـازع، منها:

أ. ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾[1]:

إنَّ وحـدة المجتمـع الإنسـانيّ تُعـدّ مـن أبـرز عوامـل تقـدُّم البشـر وتطوُّرهـم، فـي حيـن أنَّ الصـراع والانقسـام مِـن أسـباب الدّمـار والتّخلُّـف. ويُشـكّل الإيمـان باللّـه الواحـد حلقـة الاتّصـال بيـن قلـوب مليـارات البشـر، حيـث تـذوب الاختلافـات القوميّـة والعرقيّـة والجغرافيّـة واللّغويّـة. فالعـرب، قبـل الإسـلام، كانـوا فـي حـالٍ مِـنَ الانحطـاط والضّعـف، نتيجـة الابتعـاد عـن مبـدأ التّوحيـد والإيمـان باللّـه الواحـد؛ إذ كان لـكلّ قبيلـةٍ آلهتهـا الخاصّـة. ومـع مجـيء الإسـلام، تحطّمـت الأصنـام، واتّصلـت القلـوب بحلقـة التّوحيـد، ممّـا أدّى إلى تطـوّر المجتمـع فـي فتـرة قصيـرة وازدهـار طاقاتـه، حتّـى تفـوّق في نهوضـه على المجتمعـات المتقدِّمـة في ذلـك الزّمان[2]. وهـذه دعـوة صريحـة للمسـلمين أن يتمسّـكوا بهـذه الرّابطـة الدّينيّـة، ويعملـوا في ضـوء تعاليمهـا، وألا يتركوهـا ويتفرّقـوا عنهـا إلـى غيرهـا.

إنَّ تقويـة أواصـر العلاقـة بيـن أفـراد المجتمـع الإسـلاميّ لا تسـتلزم أبـدًا التّعصُّـب ونبـذ الآخريـن؛ إذ إنَّ الانتمـاء إلـى المجتمـع الإسـلاميّ والتّماهي معـه لا يعنـي بحـال الانغـلاق والتّشـرذم، بـل إنَّ الإسـلام يدعـو إلـى التّعـارف وحفـظ الكرامـة الإنسـانيّة والتّعايـش السّـلميّ[3] مـع الأسـرة الإنسـانيّة. هـذه العلاقـة والانتمـاء والتّمايـز، ليسـت بالاسـم، بـل بتبنّـي المفاهيـم والأهـداف الإلهيّـة والعمـل علـى تحقيقهـا.

وهـذه الآيـة الكريمـة تُذكّـر المسـلمين الأوائـل بمـا كانـوا عليـه مِـنَ البغضـاء

1- سورة آل عمران، الآية 103.

2- ناصر مكارم الشّيرازيّ، پيام قرآن، ط9، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، 2007م، ج 3، ص 178.

3- ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ﴾ (سورة الحجرات، الآية 13)، ﴿ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾ (سورة الإسراء، الآية 70)، ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ ﴾ (سورة الرّوم، الآية 22).

والحروب المتطاولة، ومنها الحرب بين الأوس والخزرج التي امتدَّت 120 سنة. فقد ألَّف اللّه بين قلوبهم ببركة الإسلام، حتّى صاروا إخوانًا في اللّه متراحمين متناصحين[1].

وأبلغ بيان لهذه الآية الكريمة ما جاء في خطبة السّيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام بعد رحيل رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: «كنتم على شَفا حفرةٍ من النّار، مُذْقَةَ الشّارِب، ونُهْزَةَ الطّامِع، وقُبْسَةَ العَجْلان، ومَوْطِئَ الأقدام، تشربون الطَّرْقَ، وتقتاتون القَدَّ، أذلَّةً خاسئينَ، تخافونَ أنْ يتخطَّفَكُمُ النّاس مِنْ حَوْلِكم، فأنقذكم اللّه تبارك وتعالى بأبي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم»[2].

ب. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[3]:

إنَّ وحدة الصّفوف ذات أهمّيّة كبيرة في تماسك المجتمع وصموده، إلَّا أنَّها تصبح آكد عندما تكون في مواجهة الأعداء في شتّى أنواع الحروب، سواء الاقتصاديّة أو السّياسيّة، فضلًا عن العسكريّة؛ إذ إنَّ من أهمّ العوامل المؤثّرة في تحقيق النّصر عامل الانسجام ووحدة الصّفّ أمام الأعداء في ميادين القتال.

وقد شبَّه القرآن الكريم وحدة الصّفّ بالسّدّ المتين الذي يقاوم كلّ ما يصطدم به من دون أن يزول. ولكي يكون السّدّ مقاومًا، لا بُدَّ من أن يكون مبنيًّا من موادّ صلبة، تُمثّل عقيدة الأُمّة وقيمها، وأن يكون متماسكًا خاليًا من الشّوائب والتّصدّعات حتّى لا يتمكّن العدو من اختراقه. لذلك، فإنَّ الاتّحاد له أثر كبير في بقاء الأُمم؛ إذ يوحِّد الجهود ويجمع الطّاقات لتحقيق الأهداف المشتركة.

3. حاكميّة الأخلاق في المجتمع:

إنَّ للأخلاق أهمّيّة خاصّة في المجتمع الإسلاميّ، تُميّزه عن باقي المجتمعات، وتظهر محوريَّتُها في المصادر التّشريعيّة التي تُشكّل البناء النّظريّ، وفي شخصيّة الرّسول التي تُمثّل التّجلّي الأتمّ لتلك المبادئ والقِيَم.

فالمُرسَل مِنَ اللّه لعباده لا بُدَّ من أن يكون قدوةً على مستوى السّلوك والعمل؛

1- محمّد جواد مغنيّة، تفسير الكاشف، ط1، قمّ-إيران، دار دفتر تبليغات اسلامى، 1999م، ج 2، ص 122-123.

2- محمّد باقر المجلسيّ، بحار الأنوار الجامعة لدُرر أخبار الأئمّة الأطهار، ط2، بيروت، دار إحياء التّراث العربيّ، 1982م، ج 9، ص 224.

3- سورة الصّفّ، الآية 4.

إذ إنَّ الدّعوة العمليّة هي الأشدُّ تأثيرًا. ولذلك، لا بُدَّ من أن يكون الرّسول معصومًا ومنزَّهًا عن الخطأ[1]. وقد مدح اللّه عزّ وجلّ رسوله في كتابه قائلًا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]. كذلك، خاطب مَن يرجو اللّه واليوم الآخر بقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[3]، ودعا إلى اتّباعه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4]. كما أكّد الباري، في مواضع متعدّدة من كتابه، أنَّ التّزكية[5] هي واحدة من الأهداف الأساسيّة للنّبيّ إلى جانب التّعليم، ومدح تعالى مَن تزكّى[6].

لقد تجلّى هذا الخُلُق العظيم في جميع حركات وسكنات الرّسول ﷺ، وفي ميادين حياته كافّة. لذلك، جاءت الآية الشّريفة مطلقةً، مستخدمة أدوات وأساليب عدَّة لتأكيد هذا الخُلُق، مِنَ «الواو» التي جاءت في جواب القَسَم، مرورًا بحرف التّوكيد «إنَّ»، إلى استعمال حرف «اللّام» للتّأكيد، ثمَّ نعت هذا الخُلُق بأنَّه «عظيم».

وإذا كان الخُلُق العظيم سلوكًا فرديًّا، فإنَّ الدَّعوة إليه والحثّ عليه، يُحوِّله تدريجيًّا بعد تكراره وانتشاره إلى سمةٍ اجتماعيّة، فيصبح هذا الفعل داخلًا في ثقافة المجتمع، وعنصرًا من عناصر تشكيل هُويّته، خصوصًا وأنّ بعض التّكاليف الأخلاقيّة قد تكون مستحبّة على المستوى الفرديّ، لكنّها تصبح واجبةً على المجتمع. فمثلًا، يمكن لشخصٍ ألّا يهتمّ بمظهره الخارجيّ أو بنظافة محيطه، لكن لا يمكن للمجتمع بأسره أن يتجاهل نظافة المحيط. فبذلك، تكون السُّنة قد عُطِّلت من جهة، ويفقد هذا المجتمع اتّصافه بكونه مجتمعًا مسلمًا مطلوبًا من جهةٍ أخرى.

1- ناصر مكارم الشّيرازيّ، تفسير الأمثل في كتاب الله المُنزل، ج 13، ص 213.

2- سورة القلم، الآية 4.

3- سورة الأحزاب، الآية 21.

4- سورة آل عمران، الآية 31.

5- ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ (سورة البقرة، الآية 129)، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ (سورة البقرة، الآية 174)، ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ (سورة آل عمران، الآية 164)، ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ (سورة الجمعة، الآية 2).

6- ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ (سورة الشّمس، الآية 9)، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ (سورة الأعلى، الآية 14).

وعليه، سوف يُستخرج الخُلُق النّبويّ مِنَ آيات القرآن الكريم، مع تصنيفها تصنيفًا موضوعيًّا:

أ. العدالة والاستقامة:

قد يُقال بأنَّ العدل أمرٌ واجب وفريضةٌ، وليس أمرًا مستحبًّا ليكون مِن مكارم الأخلاق، لكنَّ المتدبّر يعلم أنَّ للأخلاق حكمًا شرعيًّا كبقية الموضوعات، حيث لا تخلو واقعةٌ من حكم[1]. فكما أنَّ بعض الأخلاق الحميدة يكون حكمها الاستحباب، كخدمة النّاس وقضاء حوائجهم، فإنَّ بعضها الآخر يكون واجبًا، كالصّدق، أو محرَّمًا كالكذب، فضلًا عن وجوب العدل وحرمة الظّلم. وقد أولى القرآن الكريم أهمِّيّة كبيرة للعدل، وجعل إقامة العدل أهمّ هدفٍ اجتماعيّ لبعثة الأنبياء وإنزال الوحي[2]، كما في قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾[3].

لذلك، ينبغي على المجتمع أن يستفيد من أسلحة الأنبياء الثّلاثة في سبيل السّعي إلى تحقيق القسط والعدل، وهي: أدلّة الأنبياء العقليّة والإعجازيّة، والقوانين الموجودة داخل الكتب السّماويّة، ومعايير قياس الحقّ والباطل وتشخيصهما[4]. فالرّسالات توفِّر هذه الأسلحة والأدوات للمجتمع، ولا تفرض العدالة بالإكراه[5]؛ إذ إنَّ إقامة القسط هي من مسؤوليّات النّاس، وإنْ لم يستفيدوا منها وينهضوا لإقامة العدل، فلن يتَّصف مجتمعهم بها، وتاليًا لن يتحقَّق الهدف الاجتماعيّ من البعثة.

ويستلزم إقامة القسط الاستقامة التي تُمثِّل لازمًا بيِّنًا وطريقًا إلزاميًّا لتحقيق العدل، فاللَّه تعالى يأمر النّبيّ وأتباعه بالاستقامة بقوله سبحانه: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ

1- عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنَّ عندنا الجامعة، قلت: وما الجامعة؟ قال: صحيفةٌ.. فيها كلّ الحلال والحرام، وكلّ شيء يحتاج إليه النّاس، حتّى الإرش في الخدش». محمّد بن يعقوب الكلينيّ، الكافي، ط4، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، 1407هـ ج 1، ص 239.

2- أحمد واعظي، بازانديشى عدالت اجتماعى، لا ط، قمّ، مؤسسة بوستان كتاب، 1401هـ ص 211.

3- سورة الحديد، الآية 25.

4- ناصر مكارم الشّيرازيّ، تفسير الأمثل في كتاب الله المُنزل، ج 18، ص 71.

5- محمّد تقيّ المدرّسيّ، من هدى القرآن، ط1، طهران، دار محبّي الحسين عليه السلام، 1419هـ ج 15، ص 103.

أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[1]. وتكون الاستقامة بايجاد حالة قيام مستمرٍّ في نفس الإنسان، لا يساورها ضعف، كما تُحذِّر الآية الكريمة من عدم مراعاة العدالة والطّغيان وتجاوز الحدّ. وتشتدُّ صعوبة الأمر، عندما يقع في طريق بناء مجتمع سالم وحضارةٍ انسانيّةٍ زاهرة. إنَّ وظيفة رسول اللّه ﷺ هي الاستقامة في طريق الحقّ، وتوجيه المجتمع إلى ضرورة ذلك مع تحذيرهم من مغبَّة عدم مراعاة العدالة. ولعِظَم هذه المسؤوليّة، قال رسول اللّه ﷺ لمّا نزلت هذه الآية: «شمّروا شمّروا... فما رُئِيَ ضاحكا...»[2].

قد يرفع المجتمع العدالة شعارًا ويلتزم بمحوريَّتها بادئ الأمر، لكن ما يُمثِّل اختبارًا حقيقيًّا له هو الاستمرار على هذا النّحو؛ إذ لا يمكن بناء حضارةٍ إنسانيَّةٍ نموذجيَّةٍ إلّا عبر التّمسّك بهذا الأصل، وذلك لا يحصل إلّا من خلال الاستقامة في نهج العدالة التي تحتاج إلى مبانٍ نظريّة، وجهةٍ تتولّى الإدارةَ، ومجتمعٍ يتمتَّعُ بالإرادة، وتوفيقٍ للاستقامة[3]. عندما يُحقِّقُ المجتمع المقدِّمات المطلوبة، يتحقَّقُ له الجزاء الإلهيّ الدّنيويّ والأخرويّ؛ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[4].

وكما بيَّن القرآن الكريم العلاقة بين عدم الاستقامة والحرمان مِنَ الخيرات بقوله تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾[5]، فقد ربط بين الاستقامة في تطبيق أحكام اللّه تعالى ووفرة الخيرات؛ إذ إنَّ الشّريعة نزلت لتقرير عدالة التّوزيع، وبناء علاقات التّوزيع على أُسسٍ عادلة. وفي ذلك دلال واضحة على أنَّ المجتمع الذي تسوده عدالة التّوزيع، سيحظى بوفرةٍ في الموارد والإنتاج، وتاليًا وفرة في الثّروة[6].

1- سورة هود، الآية 112.

2- ناصر مكارم الشّيرازيّ، تفسير الأمثل في كتاب الله المُنزل، ج 7، ص 80-81.

3- ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ (سورة الفاتحة، الآية 6).

4- سورة فصّلت، الآية 30.

5- سورة الجنّ، الآية 16.

6- محمّد باقر الصّدر، المدرسة القرآنيّة، ص 69.

ب. الرّحمة والرّأفة:

عرَّف اللّه تعالى نفسه في مطلع سورِ القرآن بأنَّه ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[1]، ومدح نفسه بأنَّه ﴿ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ ﴾[2]، و﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ ﴾[3]، وأبلغ عباده في محكم آياته أنَّ رسوله الخاتم ﴿ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾[4]، وأنَّه أرسله ﴿ رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[5]. وقد أوصى الرّسول ﷺ الإمام عليًّا عليه السلام بالرّحمة، قائلًا: «أحسن يُحسن إليك... ارحم تُرحم»[6].

ورد في قواميس اللّغة أن الرَّحمة هي الرّقّة والإحسان[7]، وأنَّ الرأفة أخصّ من الرّحمة وأرقّ، وهي شدَّة الرّحمة[8]. هذه الرَّحمة والرّأفة تستبطن صفات أخلاقيةٍ عدّة، منها: الحلم، الشّفقة، المداراة، الصّبر، العفو والتّواضع.

قال اللّه تعالى: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾[9].

تُبيِّن هذه الآية أنَّ الرّسول ﷺ من سنخيّتكم البشريَّة، يشعُر بكم ويدرك مصالحكم، يعزُّ ويشقُّ عليه ضرركم وهلاككم، حريصٌ على نجاة الإنسانيَّة، وإخراجها ﴿ مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ ﴾[10]، فهو مرسلٌ ليكون ﴿ رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[11]،

1- سورة الفاتحة، الآية 1.

2- سورة الأنعام، الآية 133. سورة الكهف، الآية 58.

3- سورة الأنعام، الآية 12.

4- سورة التّوبة، الآية 128.

5- سورة الأنبياء، الآية 107.

6- محمّد بن عليّ بن بابويه الصّدوق، أمالي الصدوق، ط6، طهران، دار كتابشي، 1418هـ ج 9، ص 174.

7- الرّاغب الأصفهانيّ، المفردات في غريب القرآن، ط2، لا مكان، دار دفتر نشر الكتاب، 1404هـ ص191.

8- فخر الدّين بن محمّد الطّريحيّ، مجمع البحرين، ط3، طهران، دار مرتضوي، 1417هـ ج 5، ص 61.

9- سورة التّوبة، الآية 128.

10- سورة الحديد، الآية 9.

11- سورة الأنبياء، الآية 107.

وشديد الرَّحمة بالمؤمنين خاصّةً. والجماعة المقتديَة برسول اللّه ﷺ هي تلك الجماعة الحريصة على إيصال البشريّة إلى كمالها. فالتّعامل النّبويّ الرّحيم مع الجماعة المؤمنة يتَّصف باللّين، ورقَّة القلب؛ لجذب القلوب والعقول. هذا اللّين يستدعي «العفو»، فلا يؤاخذهم ولا يعاتبهم على معصيتهم، بل يسأل اللّه أن يغفر لهم؛ ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[1].

إنَّ هذا السّلوك النّبويّ يُمثّل مدرسةً في «المداراة» والتّغافل؛ إذ يقول تعالى: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾[2]، ويقول الرّسول ﷺ: «أمرني ربّي بمداراة النّاس كما أمرني بأداء الفرائض»[3]. لا بُدَّ للمجتمع، إذًا، من أنْ يداري بعضه بعضًا، فيتجاوز أفراده عن زلّات بعضه الآخر، «ويتغافلوا» عن عيوبهم، ويستروها.

قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4]، ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[5]، ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾[6]، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾[7].

بهذا، تزداد المحبّة في المجتمع، ولا تشيع الفاحشة، وينكسر حاجز الحياء منها، فيجرؤ أصحابها على فعلها في العَلَن، وتصبح مع الوقت أمرًا غير مستهجن اجتماعيًّا، ما يجرُّ لأن تتحوَّل من سلوك فرديٍّ، يجب محاصرته وتطويقه بحرصٍ، إلى سنّةٍ سيّئة متفشّية في المجتمع، تصعب معالجتها.

إنَّ العفو والصّفح ومقابلة الإساءة بـ«الإحسان»، من شأنها أن تؤلِّف القلوب، وتجعل الطّرف الآخر خجلًا من سلوكه، الذي تقابله بمحبّتك وعطفك وعفوك، فتُحوِّل العداوة إلى محبّة. وهذا ما يأمر به اللّه تعالى نبيّه الأعظم ﷺ، إذ يقول: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ

1- سورة آل عمران، الآية 159.

2- سورة التّوبة، الآية 61.

3- محمّد بن يعقوب الكلينيّ، الكافي، ج 2، ص 117.

4- سورة النّور، الآية 22.

5- سورة الزّخرف، الآية 89.

6- سورة الحجر، الآية 85.

7- سورة الشّورى، الآية 40.

عَـدَوَةٌ كَأَنَّـهُۥ وَلِيٌّ حَمِيـمٌ ﴾[1].

هـذا السّـلوك الكامـل يأتي تتويجًـا لمسـار مِـن مراحـل ثـلاث؛ الأولى تُمثِّـل الحدّ الأدنى القانونيّ وهـو المعاملة بالمثـل، ثُـمّ التّرقّي لمقابلة السّـيِّئة بالعفـو، كمـا في قولـه تعالى: ﴿ وَجَـزَٰٓؤُاْ سَـيِّئَةٖ سَـيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَـنۡ عَفَـا وَأَصۡلَـحَ فَأَجۡـرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾[2]، ثـمَّ دفع السيِّئة بالإحسان[3].

لكـنَّ الوصـول إلى هـذه النّتيجـة يحتـاج إلى سـلوك طريـقٍ خـاصّ، يبـدأ مِـنَ البحـث عـن «أحسـن» وأجمـل وجـهٍ لمقابلـة الإسـاءة[4]، ثـمّ يعلـم أنَّ «الصَّبـر» هو مفتـاح الفرج، فـلا بُـدَّ أوَّلًا مـن أنْ يصبـر على الإسـاءة ويمتلـك حلمًـا، وقـد لا يسـتجيب المسـيء مـن أوّل إحسـان، فيصبـر ويثابـر على إحسـانه، فينـال الحـظّ العظيـم، كمـا يؤكّـد اللّـه تعالى فـي قولـه: ﴿ وَمَـا يُلَقَّىٰهَـآ إِلَّا ٱلَّذِيـنَ صَـبَرُواْ وَمَـا يُلَقَّىٰهَـآ إِلَّا ذُو حَـظٍّ عَظِيـمٖ ﴾[5]، وقولـه: ﴿ فَٱصۡـبِرۡ إِنَّ وَعۡـدَ ٱللَّهِ حَـقّٞۖ ﴾[6].

يقـول اللّـه تعالى فـي كتابـه الكريـم: ﴿ وَٱصۡـبِرۡ عَلَىٰ مَـا يَقُولُـونَ وَٱهۡجُرۡهُـمۡ هَجۡـرٗا

1- سورة فصّلت، الآية 34

2- سورة الشّورى، الآية 40.

3- إلـى ذلـك يشـير أميـر المؤمنيـن عليه السلام فـي عهـده لمالـك الأشـتر قائـلًا: «يفـرط منهـم الزّلـل، وتعـرض لهـم العلـل، ويؤتـى علـى أيديهـم فـي العمـد والخطـأ، فأعطهـم مـن عفـوك وصفحـك مثـل الـذي تحـبّ وترضـى أن يعطيـك الله مـن عفـوه وصفحـه».

4- إنَّ شـاميًّا رأى الإمـام الحسـن عليه السلام، فجعـل يلعنـه، والإمـام لا يـردّ، فلمَّـا فـرغ أَقْبَـل عليه السلام فسـلَّم عليـه وضحـك، وقـال: «أيّهـا الشّـيخ أظنّـك غريبًـا، ولعلّـك شـبّهت، فلـو اسـتعتبتنا أعتبنـاك، ولـو سـألتنا أعطيناك، ولـو استرشـدتنا أرشـدناك، ولـو اسـتحملتنا أحملنـاك، وإن كنـت جائعًـا أشـبعناك، وإن كنـت عريانًـا كسـوناك، وإن كنـت محتاجًـا أغنينـاك، وإن كنـت طريدًا آويناك، وإن كان لـك حاجـة قضيناهـا لـك، فلـو حرّكـت رحلـك إلينـا وكنـت ضيفنـا إلـى وقـت ارتحالـك، كان أعـود عليـك؛ لأنَّ لنـا موضعًـا رحبًـا وجاهًـا عريضًـا، ومـالًا كثيـرًا. فلمَّـا سـمع الرجـل كلامـه بكـى، ثـمَّ قـال: أشـهد أنَّـك خليفـة الله فـي أرضـه، الله أعلـم حيـث يجعـل رسـالته، وكنـت أنـت وأبـوك أبغـض خلـق الله إلـيَّ، والآن أنـت أحـبُّ خلـق الله إلـيّ. وحـوَّل رحلـه إليـه، وكان ضيفـه إلـى أن ارتحـل وصـار معتقـدًا لمحبّتهـم».
محمّـد باقـر المجلسـيّ، بحـار الأنـوار الجامعـة لـدُرر أخبـار الأئمّـة الأطهـار، ط2، بيـروت، دار إحيـاء التّـراث العربـيّ، 1403هـ، ج 43، ص 344.

5- سورة فصّلت، الآية 35.

6- سورة الرّوم، الآية 60. سورة غافر، الآية 55. سورة طه، الآية 130. سورة الأحقاف، الآية 35.

جَمِيلًا ﴾[1]. هذا الهجران هو الملازم للشّفقة والاستمرار بالدّعوة إلى اللّه والتّربية، وليس الهجران الجميل، هنا، بمعنى الابتعاد وعدم الاكتراث[2]. وفي هذا دلالة على وجوب الصّبر على الأذى والرِّفق والمعاشرة بالأخلاق الحسنة[3].

وفي آية أخرى، يقول تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[4]. يأتي «الإعراض» هنا بمعنى الحلم والصّفح وترك الخصومة، حتّى مع أولئك الذين لا يستمعون إلى الهدى[5]. فقد كان الرّسول ﷺ يُظهر لهم الحلم والتّحمُّل وعدم الغضب تُجاه أفعالهم غير المسؤولة[6]. وكان حريصًا على أفراد الأُمّة، يعزُّ عليه هلاكهم أو تعرّضهم لأيّ ضرر، فهو نِعم الطّبيب الذي يدور على مرضاه، يداوي قلوبهم، ويحيي نفوسهم[7]. هذا الحرص يستوجب ملازمة أفرد الأُمّة وخفض الجناح لهم، لا ليطير عنهم، بل ليحتضنهم ويربّيهم بعطف[8].

إنَّ على الأُمّة التي تدعو إلى الحقّ أنْ تُقابل النّاس بالأخلاق وسعة الصّدر، امتثالًا لقوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[9]. وقد قال النّبيّ ﷺ: «إنّكم لن تَسَعُوا النّاس بأموالكم، فَالْقَوْهُم بطلاقة الوجه وحُسْنِ البِشْر»[10]. وعليه،

1- سورة المزمّل، الآية 10.

2- ناصر مكارم الشّيرازيّ، تفسير الأمثل في كتاب الله المُنزل، ج 19، ص 137.

3- الفضل ابن الحسن الطّبرسيّ، مجمع البيان، ط3، طهران، دار ناصر خسرو، 1413هـ ج 10، ص 379.

4- سورة الأعراف، الآية 199.

5- ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (سورة الأعراف، الآية 198).

6- ناصر مكارم الشّيرازيّ، الأخلاق في القرآن، ط3، قمّ، دار مدرسة الإمام عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، 1428 هـ ج 3، ص 343-344.

7- «طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ وَآذَانٍ صُمٍّ وَأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ». محمّد بن حسين الشّريف الرّضي، نهج البلاغة، ط1، قمّ، دار الهجرة، 1414هـ ص 156.

8- محمّد حسين الطّباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج 12، ص 192-193.

9- سورة الإسراء، الآية 53.

10- محمّد بن يعقوب الكلينيّ، الكافي، ج 2، ص 103.

يجب أن يكون المجتمع الإسلاميّ رحيمًا، صابرًا، وحليمًا. فقد ورد عنه ﷺ: «الرّاحمون يرحمهم الرّحمن تبارك وتعالى، ارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السّماء»[1].

ج. التّواضع وصحبة الأخيار:

أَمَرَ اللّه عزَّ وجلّ رسوله ﷺ بالتّواضع للمؤمنين وصحبتهم، ولهذا التّواضع لوازم عدَّة، منها: احترامهم، استشارتهم، وعدم المنِّ عند العمل. فالأصل في التّعامل بين المؤمنين هو التّواضع؛ إذ للمؤمن كرامة خاصَّة؛ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2]. ومن هنا، يكون التّعامل الرّحيم في ما بينهم أوجب وألزم؛ ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[3]. ولهذا، كان قائد المؤمنين وسيّدهم مأمورًا بالتّواضع في تعامله معهم؛ ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[4]، ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[5].

لم يقتصر القرآن في الحثِّ على التّواضع للمؤمنين، بل دعا إلى ملازمتهم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[6]. ويظهر من ذلك، أنَّ أوثق عرى الإيمان هو الحبّ في اللّه والبغض في اللّه[7]؛ إذ إنَّ المعيار الإلهيّ هو التّقوى والقرب مِنَ اللّه. فكلّما كانت رابطة المحبّة والملازمة في المجتمع الإسلاميّ مبنيّة على ما يُحبّه اللّه، ومَن يحبّ اللّه، كان هذا المجتمع يسير في طريق تحقيق التّكامل الاجتماعيّ المطلوب بتآزر طاقاته.

إنَّ التّواضع للأخيار وصحبتهم يتجلّى بسلوكيّات عدَّة، منها:

ـ إفشاء السّلام؛ هو الشِّعار الإسلاميّ للتّحيّة، الذي يمنح الأمن والسّكينة

1- محمّد الرّي شهريّ، ميزان الحكمة، ط1، قمّ، دار الحديث، 1422هـ ج 2، ص 1044.

2- سورة الحجرات، الآية 13.

3- سورة الفتح، الآية 29.

4- سورة الشّعراء، الآية 215.

5- سورة الحجر، الآية 88.

6- سورة الكهف، الآية 28. ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ (سورة الأنعام، الآية 52).

7- محمّد باقر المجلسيّ، بحار الأنوار الجامعة لدُرر أخبار الأئمّة الأطهار، ج 69، ص 242.

للطّرف المقابل. ولمعرفة أهمّيّة هذا الشّعار، يكفي أنَّ الباري وعد الصّابرين عالي الدّرجات في الجنّة، حيث تستقبلهم الملائكة بالسّلام، كما في قوله: ﴿ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴾[1]، بل إنَّ اللّه تعالى نَعَتَ الجنّة نفسها بأنَّها ﴿ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ ﴾[2].

فالإسلام اهتمَّ حتّى بالآداب اللّفظيّة، مع ما تتضمّنه من احترام في ظاهرها، وما تختزنه من أمان في مضامينها. كما أوجب ردّ هذه التّحية بمثلها أو بأحسن منها؛ إذ يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾[3].

- الاستشارة؛ وهي تُعدّ من باب النُّصح والتّناصح، فالمجتمع الإسلاميّ متآزرٌ ومتعاونٌ في القضايا التي ترتبط بالشّأن العامّ والمصلحة العامّة. قال تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾[4].
- عدم المنّ؛ قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾[5]، وقال ﷺ: «لا تستكثر ما عملت من خير للّه»[6]. فالمنُّ فيه إهانة للكرامة، وهو ما يتناقض مع التّواضع للمؤمنين. وقد نهى القرآن عن ذلك بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾[7].

إنَّ طبيعة العلاقات الإنسانيّة قائمة على الحاجات المشتركة، والمجتمع الإسلاميّ بما أنَّه يسير في ضوء المباني الإلهيّة للوصول إلى كماله، لا بُدَّ من أن يعلم أنَّ العطاء والإحسان إنّما يعود أوّلًا، وبالأصالة، بالنّفع على صاحبه. يقول تعالى: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾[8]؛ فالإحسان أوّلًا سيساهم في تحقيق النّظام الأكمل، بما ينفع المجتمع بشكلٍ عامّ، وينفعه بما هو جزءٌ من هذا المجتمع،

1- سورة الفرقان، الآية 75.

2- سورة الأنعام، الآية 127. سورة يونس، الآية 25.

3- سورة النّساء، الآية 86.

4- آل عمران، الآية 159.

5- سورة المدّثر، الآية 6.

6- محمّد بن يعقوب الكلينيّ، الكافي، ج 2، ص 499.

7- سورة البقرة، الآية 264.

8- سورة الإسراء، الآية 7.

وتاليًا سيعود هذا الإحسان عليه في الآخرة، ليُثقل موازينه. وقد ورد أنَّ الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام كان إذا أتاه السّائل يقول: «مرحبًا بمَن يحمل زادي إلى الآخرة»[1].

د. صدق الحديث:

لقد مدح اللّه تعالى رسوله الصّادق الأمين بقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾[2]. فكلُّ كلامه حقٌّ وصدق، بعيدٌ عمّا تهوى النّفس وعمّا يجلب لها المنفعة الشّخصيّة. بل إنَّ شخصيّة رسول اللّه صلى الله عليه وآله تتّصف بالصِّدق في كلِّ حركاتها وسكناتها، فلا تحيدُ عن الحقّ، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾[3].

على المجتمع القرآنيّ، إذًا، أن يحذو حذو رسول اللّه صلى الله عليه وآله في صدقه اللّسانيّ والعمليّ، ليسود الحقّ والعدل؛ لأنَّه في حال انتشار الكذب، فإنَّ الثّقة ستُفقد تدريجيًّا من المجتمع، ويعمّ سوء الظّنّ فيه، ما يُفسد العلاقات، ويُؤثّر بشكلٍ خطير على استقرار النّظام الاجتماعيّ. وإلى شدّة خطورة الكذب وفَتكِه، يشير الإمام الحسن بن عليّ العسكريّ عليه السلام بقوله: «جُعلت الخبائث في بيت، وجُعِلَ مفتاحه الكذب»[4].

هـ. التّعايش السّلميّ:

إنَّ الأصل في الإسلام ليس الحرب، ولا الإكراه على الدّين، كما يتّضح من قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[5]. فالعلاقات السِّلميّة لا تقوم على تصنيف النّاس بحسب معتقداتهم. لهذا، خاطب اللّه نبيّه بعدم إكراه النّاس أو إجبارهم على الإيمان أو على اعتناق عقيدةٍ محدّدة، فقال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[6]. فالدّنيا

1- محمّد بن عليّ بن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب، النّجف الأشرف، مطبعة الحيدريَّة، 1956م، ج 2، ص 262.

2- سورة النّجم، الآية 3.

3- سورة الإسراء، الآية 80.

4- محمّد بن جمال الدّين مكّيّ، الدّرّة الباهرة من الأصداف الطّاهرة، تحقيق جلال الدّين الصّغير، لا ط، إيران، مؤسّسة طبع ونشر الآستانة الرّضويّة المقدّسة، لا ت، ص 43.

5- سورة البقرة، الآية 256.

6- سورة يونس، الآية 99.

دار اختبار وامتحان، وعلى الرّسول الدّعوة إلى الحقّ وترك الخيار للنّاس؛ ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾[1]. وعليه، فإنَّ على المجتمع الإسلاميّ أن يحذو حذو رسول اللّه ﷺ، في موقفه مِنَ الآخر الدّينيّ.

ويمكن تقسيم العلاقات الاجتماعيّة في المجتمع البشريّ إلى الآتي:

- العلاقة بين المسلمين؛ إنَّ الأصل في الإسلام هو الاتّحاد والانسجام بين جميع المسلمين، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾[2]. وقد طبَّق رسول اللّه ﷺ هذا المبدأ حين آخى بين المهاجرين والأنصار. هذا الاتّحاد يهدف إلى توحيد الطّاقات تحت راية التّوحيد، من أجل الوصول إلى النّظام الأحسن والأكمل، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾[3].
- العلاقة مع أهل الكتاب؛ لقد دعا الإسلام إلى البحث عن المشتركات مع أتباع الدّيانات السّماويّة؛ لتكون منطلقًا للتّعايش. لذلك، خاطب اللّه رسوله بقوله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾[4]. فهي دعوة للاستفادة من التّوحيد كمنطلقٍ لبناء حوارٍ إنسانيٍّ قائم على مقاصد توحيديّة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾[5].
- العلاقة الدّوليّة مع المجتمعات غير الموحِّدة؛ إنَّ العلاقات السّلميّة مع غير المحارب هي الحاكمة في الإسلام، فإذا كان المجتمع الآخر غير موحِّد، فإنَّ ذلك لا يُشكِّل مسوّغًا لقتاله، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن

1- سورة الكهف، الآية 29.

2- سورة الحجرات، الآية 10.

3- سورة آل عمران، الآية 103.

4- سورة آل عمران، الآية 64.

5- سورة الأنبياء، الآية 92.

دِيَـٰرِكُـمۡ أَن تَبَرُّوهُـمۡ وَتُقۡسِـطُوٓاْ إِلَيۡهِـمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِـبُّ ٱلۡمُقۡسِـطِينَ ﴾[1]، بـل إنَّـه تعالى أمر رسوله بالتّعامل السّلميّ مع المحاربين الّذين يرغبون في الصّلح، كما في قوله: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا ﴾[2].

- العلاقة الدّوليّة مع المستكبرين؛ لقد ميَّز القرآن بين الكافر والمستكبر، فالعداء يكون موجّهًا نحو الظّالمين الذين يسعون للهيمنة والظّلم وفرض سلطتهم، والذين لا يلتزمون بعهد ولا ميثاق. يقول تعالى في وصف هذه الفئة: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَـٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴾[3].

إنَّ قتال هذه الفئة يأتي بسبب عدم احترامهم لأيّ عقود ومواثيق، فإقامة العلاقات والتّواصل يفرض تنظيم معاملات وعقود في شتّى المجالات، منها: تجاريّة وسياسيّة، وثقافيّة، وغيرها. لكن أولئك المستكبرين لا يقبلون التّعايش مع غيرهم، ولا يلتزمون بالمواثيق، ﴿ لَآ أَيۡمَـٰنَ لَهُمۡ ﴾؛ فإمَّا أنْ يخضع الجميع لهيمنتهم، وإمَّا أنْ يعادونهم ويقاتلونهم. لذلك، لا محيص لإحقاق الحقّ ورفع الموانع، إلّا القتال مع تلك الفئة[4].

فالأصل هو صحبة الأخيار والتّعاون معهم في بناء طريق الكمال، والتّعايش السّلميّ مع غيرهم من خلال البحث عن المشتركات مع أهل الكتاب، وعدم التّعرّض لغيرهم ممَّن لا يُحاربون القِيَم الإلهيّة، أو يعتدون على المستضعفين. لكن، هذا لا يعني قبول الباطل، بل يستوجب الدّعوة إلى الحقّ. وإنْ لم ينفع السّلوك العمليّ في الجذب والدّعوة بالأسلوب الحَسَن، فلا بُدَّ مِنَ التّدرُّج والتّرقّي في مواجهة الباطل وأهله.

و. الدّعوة إلى الحقّ وأسلوبها:

إنَّ نظام التّشريع الإسلاميّ مبنيٌّ على المصالح الواقعيَّة، فاتّباعه يؤدّي إلى تحقُّق المقاصد الإلهيّة المطلوبة على مستوى الفرد والمجتمع. ولمّا كان الإسلام يسعى

1- سورة الممتحنة، الآية 8.

2- سورة الأنفال، الآية 61.

3- سورة التّوبة، الآية 12.

4- للتّوسّع في هذا المطلب يمكن مراجعة مقالة «الأصول الحاكمة على العلاقات الدّوليّة في النّظام الإسلاميّ»، عبد الله جوادي، مجلّة الحكومة الإسلاميّة، العدد 13، صيف 2008م.

إلى إحياء القِيَم الإنسانيّة من أجل سموّ الإنسان وبلوغه كماله الفرديّ والإجتماعيّ، لزم اتّباع الحقّ؛ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾[1]. فالقول بالتّعايش السّلمي مع الآخر لا يعني عدم دعوته إلى الحقّ؛ ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ﴾[2]. والدّعوة إلى الحقّ قد تكون من باب إرشاد الجاهل للأخذ بيده نحو صلاحه، أو مِن باب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر[3]، ولذلك شروط وأساليب.

لقد اتّسمت دعوة الأنبياء باللّين، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[4]، حتّى أنّهم كانوا يقابلون الإساءة بالإحسان، والخشونة بالقول الصّواب والأدب[5]، ومثال ذلك قوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾[6]. فالمجتمع الدّاعي إلى الحقّ عليه أن يستفيد من الأدلّة والبراهين العقليّة، والطّرق القلبيّة الوجدانيّة، وأن يختار أحسن الطّرق والأساليب[7] لهداية الآخرين، والأخذ بيدهم إلى جادّة الحقّ.

ز. الشّجاعة ودفع الأشرار:

إنْ لم تُثمر الدّعوة إلى الحقّ بالنُّصح والإرشاد، وبقيَ الطّرف الآخر مُصرًّا

1- سورة الأنفال، الآية 24.

2- سورة المائدة، الآية 77.

3- إنَّ موضوع الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر من أهمّ الواجبات الاجتماعيّة، فمن خلال إعماله يكون المجتمع «خيرَ أُمّة»، وعند تركه تتفكَّك القِيَم ويزول المجتمع. ﴿ فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا ﴾ (سورة هود، الآية 116). وإنَّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر كان، ولا يزال، من الموضوعات التي تُبحث بعمق وكثرةٍ من جهات وحيثيّات مختلفة. وعليه، فقد آثرنا في هذا البحث عدم إفراد عنوان مستقلّ له، بل إدراجه في سياق مطالب متعدّدة، منها: العلاقات الدّوليّة مع المستكبرين، والدّعوة إلى الحقّ، ودفع الأشرار.

4- سورة النّحل، الآية 125.

5- محمّد حسين الطّباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج 6، ص 298.

6- سورة طه، الآيتان 43-44.

7- محسن قراءتي، تفسير النّور، ط1، طهران، مركز دروس من القرآن الثّقافيّ، 1430هـ ج 4، ص 601.

على الباطل، فعلى المجتمع الانتقال إلى المرحلة الثّانية مِن مراحل مواجهة الظّواهر السّيّئة، وهي الإعراض والهجران عنه. ومثال ذلك، ما ورد في قوله تعالى: ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾[1]، وقوله: ﴿ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[2]، فلا مداهنة مع الباطل ولا حياد عن الحقّ. ففي طريق الدّعوة إلى الحقّ، لا يخاف في اللّه لومة لائم، ويتوكّل على اللّه وحده؛ إذ يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾[3].

وأمَّا في مواجهة العدوّ المعتدي والمهيمن، فيقوم المجتمع بالإعداد الرّدعيّ، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴾[4]. ويكون جاهزًا لمواجهة المستكبر الذي يريد أن يفرض هيمنته على المجتمع الإسلاميّ أو على المستضعفين، فيواجه بكلِّ شدّة، كما وصفهم اللّه تعالى: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ ﴾[5]. ويفدي أفراد المجتمع أنفسهم في طريق تحقيق المشروع المنشود؛ إذ يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ ﴾[6].

إنَّ أتباع الرّسول الأسوة هم المُقتدون بعقائده وتعاليمه وثقافته، بما في ذلك آدابه وسُنَنه. فإذا تعاملت المجموعات مع بعضها بالتّسامح والحلم، سوف تضمحلّ الكثير من المشكلات على المستويَيْن الفرديّ والاجتماعيّ، إلَّا أنَّ ذلك لا يعني إغفال المساوئ والعيوب، أو التّفريط بالأصالة والقِيَم، إنَّما تبقى المجادلة في ضوء التّمسّك بالاعتقادات، لكنَّ بَيانها والدّعوة لها يكون ﴿ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[7]. فالهدف من

1- سورة النّجم، الآية 29.

2- سورة الأنعام، الآية 106.

3- سورة الأحزاب، الآية 39.

4- سورة الأنفال، الآية 60.

5- سورة الفتح، الآية 29.

6- سورة التّوبة، الآية 111.

7- سورة فصّلت، الآية 34.

علـيّ الخامنئـيّ، لقـاء المعلّميـن وأسـاتذة الجامعـات فـي خراسـان الشّـماليّة، 2012/10/11م: https://farsi.khamenei.ir.

حاكميّة الأخلاق في المجتمع هو الوصول إلى الكمالات المعنويّة، والحيازة على المقام العالي للكرامة الإنسانيّة التي تُشكّل محوريّة الأخلاق الاجتماعيّة.

4. تدبير المعيشة ورعاية الاقتصاد:

إنَّ اللّه تعالى لم يَعمر الأرض ويضعها في تصرُّف البشر فحسب، بل إنَّ عمرانها الأرض موكولٌ للإنسان. وتاليًا، على الإنسان أن يسعى ويجهد للاستفادة من الموارد واستثمارها، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[1]. فالاقتصاد يجب أن يزدهر في المجتمع الإسلاميّ؛ لتمكين أفراده من تأمين معيشتهم. ولذلك، لا بُدَّ من أنْ تتحرّك العجلة الاقتصاديّة خوفًا على الأمن الماليّ للمجتمع من جهة، ولضمان عدم الابتعاد عن التّقدُّم من جهةٍ أخرى[2].

لقد اهتمَّ الإسلام بالمسائل الاقتصاديّة وأفرد لها أبوابًا فقهيّة عدّة ضمن المنظومة التّشريعيَّة الإسلاميّة، إلى جانب التّوجيهات والإرشادات والآداب المرتبطة بهذا الحقل. فقد رُوي عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «اللّهُمّ بارك لنا في الخبز، ولا تُفرّق بيننا وبينهُ، فلولا الخُبزُ ما صلّينا ولا صُمْنا ولا أدّينا فرائض ربّنا»[3]. وقال الإمام عليّ عليه السلام: «وبالدّنيا تُحرز الآخرة»[4].

وبما أنَّ الإنسان مكوَّن من مادّة وروح، وبما أنَّ الإسلام يُمثّل منهجًا يُنظّم حياة الإنسان، فعليه عدم إهمال جانبه المادّيّ. فالاقتصاد هو عصب الحياة، وإهماله يؤدّي إلى آثارٍ خطيرة على الحياة الفرديّة والاجتماعية. فكم من أُمّة وقعت فريسة الاستعمار والتّبعيّة والحاجة، ففقدت حرّيّتها واستقلالها، وخسرت كرامتها ومكانتها الدّوليّة!

على الرّغم من أهمّيّة الاقتصاد كركيزة أساسيّة، إلّا أنَّ ذلك لا يعني أنّه محور المجتمع، أو أنّه يُشكّل هدفًا بحدّ ذاته، بل يهدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعيّة، التي تُشكّل الهدف الأسمى في الاقتصاد الإسلاميّ، بوصفها الأصل الحاكم في البرامج والمقرّرات الاقتصاديّة كافّة.

1- سورة هود، الآية 61.

2- حميد نگارش، قرآن وويژگی های جامعه اسلامی، مجلة پيام، العدد87، شتاء 2007م، ص 113-114.

3- محمّد بن يعقوب الكلينيّ، الكافي، ج 5، ص 53.

4- نهج البلاغة، الخطبة 145.

إنَّ تمركز الثّروة لدى طبقةٍ خاصّةٍ أمرٌ يرفضه الإسلام؛ لتنافيه مع مبدأ العدالة الاجتماعيّة، ويظهر ذلك جليًّا في قوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْۚ﴾[1]. ولذلك، حرَّم الإسلام الكنز، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2].

لقد خطا الإسلام خطواتٍ في سبيل تحقيق هذه العدالة؛ فنهى عن الإسراف والتّبذير لمَا يُسبّبانه من هدرٍ للطّاقات والموارد، وتضييع لحقوق الآخرين. لذلك، أوجب الإسلام التّوازن في الإنفاق[3]، كما يتّضح في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ﴾[4]، وقوله: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[5].

على المجتمع الإسلاميّ، إذًا، أنْ يُولي اهتمامًا خاصًّا بالاقتصاد، بهدف تحقيق الاكتفاء الذّاتيّ والاستقلال، وتأكيد حضوره على السّاحة الدّوليّة. ويجب أن يُدرك أنَّ العدالة الاجتماعيّة هي الهدف الأسمى للاقتصاد، ولتحقيق ذلك، ينبغي العمل على توزيع الثّروة من خلال دفع الحقوق الشّرعيّة، مثل الخمس والزّكاة، وتعزيز التّكافل الاجتماعيّ، والاستفادة من طاقات الأيدي العاملة، والحرص على التّوازن في الإنفاق.

الخاتمة

إنَّ اللّه تعالى استخلف الإنسان على هذه الأرض ليصل إلى كماله، ولهذا الكمال مدارج، تبدأُ من الفَرد، مرورًا بالمجتمع، انتهاءً بالحكومة.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[6].

1- سورة الحشر، الآية 7.

2- سورة التّوبة، الآية 34.

3- جعفر السّبحانيّ التّبريزيّ، مفاهيم القرآن، ط4، قمّ، مؤسسة الإمام الصّادق عليه السلام، 1421هـ، ص 476-490.

4- سورة الإسراء، الآيتان 26-27.

5- سورة الأعراف، الآية 31.

6- سورة الأنبياء، الآية 105.

يبدأ التّكامل الاجتماعيّ عندما يصل آحاد الأفراد إلى درجةٍ مِنَ النُّضج يدركون معها الحاجة إلى الخلافة الإلهيّة ودورها المحوريّ في إعمار الأرض، فيقبلوا بالحاكميّة الإلهيّة، ويعملوا تحت إشرافها على السّير في طريق التّكامل الاجتماعيّ.

يُمثِّل القرآن الكريم أحد أهمّ مصادر التّشريع في المنظومة الفكريّة الإسلاميّة؛ إذ يمتاز بأنَّه قطعيُّ الصّدور، وأنّه الكتاب السّماويّ النّهائيّ، الذي نزل في الشّريعة الأكمل، فكان ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[1]، و﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ﴾[2] و﴿نُورًا مُّبِينًا﴾[3]. فالسَّير على هديه ينير الطّريق ويهدي إلى الحقّ ويميّزه عن الباطل. لذلك، على المجتمع أن يستكشف المنهج القرآنيّ للكمال ويلتزم به.

إنَّ المجتمع القرآنيّ كباقي المجتمعات الإنسانيَّة من حيث الشّكل والتّركيب، إلَّا أنَّه يتمايز من حيث المنطلقات والمآلات، فهو يؤمن بالغيب وتأثيره، يؤمن بالخالق ورُسُله والمبدأ والمعاد، ما يُشكِّل منظومته الفكريّة ومبانيه، ويتجلَّى في سلوكيّاته. فهو يتَّخذ من الاتّحاد شعارًا، فتتآزر طاقاته، ويستند في سلوكه إلى الأخلاق النّبويّة كمرجعيَّة عمليّة في كلِّ محاور حياته، بدءًا مِنَ العدالة، مرورًا بالرّحمة والرّأفة، فصدق الحديث والتّواضع، انتهاءً بالعلاقة مع سائر العائلة البشريّة. ثمَّ إنّه لا يغفل عن أهمّيّة الاقتصاد ودوره في الاستقلال وعدم التّبعيّة، ويُدرك أنَّ الهدف مِنَ الاقتصاد هو تحقيق العدالة الاجتماعيّة.

ولأنَّ المجتمع له كيانٌ مستقلٌّ عن الأفراد الذين يتشكَّل منهم، لزم أن تكون له سلسة قوانين تخاطبه، لها خصائص مختلفة عن تلك التي تخاطب الفرد المكلَّف، وجِهةٌ ترعى إنفاذ هذا القانون. فما خصائص الفقه الاجتماعيّ؟ ومَن هي الجهة صاحبة الاختصاص في تطبيق هذا القانون وما يترتّب عليه؟ هذا ما يخرج عن مقصد هذه السّطور، ويحتاج لبحث مستقل.

1- سورة النّحل، الآية 89.

2- سورة البقرة، الآية 185

3- سورة النّساء، الآية 174.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

المصادر والمراجع باللّغة العربيّة

- ابـن شهرآشـوب، محمّـد بـن علـيّ، مناقـب آل أبـي طالـب، لا ط، النّجـف الأشـرف، مطبعـة الحيدريَّـة، 1956م.
- الرّاغـب الأصفهانـيّ، الحسـين بـن محمّـد، المفـردات في غريـب القـرآن، ط2، لا مـكان، دار دفتـر نشـر الكتـاب، 1404هـ.
- الرّي شهريّ، محمّد، ميزان الحكمة، ط1، قمّ، دار الحديث، 1422هـ.
- السّبحانيّ التّبريزيّ، جعفر، مفاهيم القرآن، ط4، قمّ، مؤسسة الإمام الصّادق عليه السلام، 1421هـ.
- الشّـريف الرّضـي، محمّـد بـن حسـين، نهـج البلاغـة، ط1، قـمّ، دار الهجـرة، 1414هـ.
- الشّـيرازيّ، ناصـر مـكارم، الأخـلاق فـي القـرآن، ط3، قـمّ، دار مدرسـة الإمـام علـيّ ابـن أبـي طالـب عليه السلام، 1428هـ.
- ـــــــ، الأمثـل فـي كتـاب اللّـه المنـزل، ط1، قـمّ، دار مدرسـة الإمـام علـيّ ابـن أبـي طالـب عليه السلام، 1421هـ.
- الصّدر، محمّد باقر، المدرسة القرآنيّة، ط1، بيروت، دار التّعارف، 1400هـ.ق.
- الصّدوق، محمّد بن عليّ بن بابويه، التّوحيد، ط1، قمّ، نشر جماعة المدرِّسين، 1398هـ.
- ـــــــ، الأمالي، ط6، طهران، داركتابشي، 1418هـ.
- ـــــــ، كمال الدّين وتمام النّعمة، ط2، طهران، الدّار الإسلاميّة، 1395هـ.
- الطّباطبائيّ، محمّـد حسـين، الميـزان فـي تفسـير القـرآن، ط2، بيـروت، مؤسسـة الأعلمـيّ للمطبوعـات، 1970م.
- الطّبرسيّ، الفضـل بـن الحسـن، مجمـع البيـان، ط3، طهـران، دار ناصـر خسـرو، 1413هـ.
- الطّريحيّ، فخـر الدّيـن بـن محمّد، مجمـع البحريـن، ط3، طهـران، دار مرتضوي، 1417هـ.

- قراءتي، محسن، تفسير النّور، ط1، طهران، مركز دروس من القرآن الثّقافيّ، 1430هـ.
- الكلينيّ، محمّد بن يعقوب، الكافي، ط4، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، 1407هـ.
- المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدُرر أخبار الأئمّة الأطهار، ط2، بيروت، دار إحياء التّراث، 1982م.
- المدرّسيّ، محمّد تقيّ، من هدى القرآن، ط1، طهران، دار محبّي الحسين عليه السلام، 1419هـ.
- مغنيّة، محمّد جواد، تفسير الكاشف، ط1، قمّ-إيران، دار دفتر تبليغات اسلامى، 1999م.
- مكّي، حسن، جهاد الأمَّة، تقرير لمحاضرات محمّد مهدي شمس الدّين، ط1، بيروت، دار العلم للملايين، 1997م.
- مكّيّ، محمّد بن جمال الدّين، الدّرّة الباهرة من الأصداف الطّاهرة، تحقيق جلال الدّين الصّغير، لا ط، إيران، مؤسّسة طبع ونشر الآستانة الرّضويّة المقدّسة، لا ت.
- اليزديّ، محمّد تقيّ مصباح، على أعتاب الحبيب، ط1، بيروت، دار المعارف الحكميّة، 2018م.
- جوادي، عبد اللّه، الأصول الحاكمة على العلاقات الدّوليّة في النّظام الإسلاميّ، مجلّة الحكومة الإسلاميّة، العدد 13، صيف 2008م.

المصادر والمراجع باللّغة الفارسيّة

- الشّيرازيّ، ناصر مكارم، پيام قرآن، ط9، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، 2007م.
- نگارش، حميد، قرآن وويژكى هاى جامعه اسلامى، مجلة پيام، العدد87، شتاء 2007م.
- واعظي، أحمد، بازانديشى عدالت اجتماعى، قمّ، مؤسسة بوستان كتاب، 1401هـ.

المصادر والمراجع الإلكترونيّة

- عليّ الخامنئيّ، لقاء المعلّمين وأساتذة الجامعات في خراسان الشّماليّة، 2012/10/11م: https://farsi.khamenei.ir.